رواية

على مذبح الحب

تأليف

الحسيني متسى على

طالب بالجامعة المصرية — كلية الآداب

« الطبعة الاولى »

١٣٥٠ — ١٩٣٢

الي مهذبي الفاضل الاستاذ
« يوسف مجلي افندى » اهدى باكورة اعمالي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين

أما بعد فهذا كتاب أخرجناه للناس فيه حكم ومواعظ بالغات وأمثلة شتى للأخلاق فعسي أن يمحصها الشباب ويأخذ منها درسا قيما يتسلح به فى ميدان الحياة والسلام

الحسيني منسى علي

تقريظ

الروايات وقيمة تلك بينها

لشد ما تردد فى نفسى من تباريح الاسى عقيب تصفحى تلك الرواية « على مذبح الحب » فى كل سطر منها أبصرت العظة البالغة فى هذه الحياة الدنيا

ولست مغاليا إذا قلت أن هذه اولي الروايات الحية اثرا فى نفسى فقد اقتنصت من كل شرك فريسه حتى بانت رواية الروايات فحيا الله نفسا تتعشق الادب وتعالج كلوم الفضيلة فى هـذا الناس ومرحى مرحى لشباب اخصل على نمير الانسانية الصافى آتى آياته كل حين دررا بين لالىء العبقريين والسلام ؟

ابراهيم مأمون

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

« في عهد الطفولة »

جاك شاب ريفى المنشأ قروى الأرومة نشأ فى قرية من قرى باريس بين والديه اللذين كان يعبدانه عبادة .

كان جاك شابا جميل الوجه بهى الطلعة متين العضل ملتف الساعدين وفى الحقيقة كان انموذج الجمال الرجالى مجسما فى هيكل الصحة والقوة البشرية . شب وترعرع بين الحقول الناضرة الخضراء وتحت تلك القبة الصافية الزرقاء وفوق تلك الارض الندية المخضلة مع ابنة عمه التى باتت يتيمة بعد موت والديها فكفلها عمها ورباها مع ولده الصغير جاك وها قد أصبحت شابة جميلة فتانة واكتمل جسما الغض وبرزت محاسنها الخلابة فأصبحت اجمل عادة فى القرية

ما احلى أيام الطفولة السعيدة التى مرت بين ذلكما

الطفلين السعيدين ، لقد كان جاك بمثابة أخ مخلص وشقيق أليف هيلين ولقد كانت تشكو له كل مايحدث لها وتأتي اليه والدموع تترقرق فى عينيها النجلاوين البراقتين اذا آلمها أحد فيلوح بقبضتيه الصغيرتين فى الهواء منذرا ومهددا . لقد كان يأتى كل يوم من مدرسة القرية تعبا لغوبا فتضع رأسه على ركبتيها الصغيرتين وتمر بيدها الناعمة على شعره الاسود اللامع ويبثان لبعضهما نوازع حزنهما بأرق عبارات الاخلاص فكان الناظر اليهما يحسبهما عاشقين متيمين وكثيرا ما كان أبواهما يرى هذا المنظر الشعرى اللذيذ فيبتسمان ويقولان معا : إنه لها وهى له .

كم كان يحزن جاك إذا رأى هيلين حزينة وكم كان يفرح إذا ما كانت فرحة وهكذا كانت نفس كل منهما مرآة تنعكس عليها خواطر الآخر ونزعاته وكان كل من يراهما وهما يلعبان بتؤدة وهدوء يخيم عليهما ظل الوفاء والاخلاص بعكس باقي الاطفال الذين كثيرا ما يتشاجرون ويتخاصمون تنطبع على فمه ابتسامة الغبطة لهذين الطفلين المتآلفين اللذين

تظلالهما السعادة بأجنحتها البيضاء وتتدفق تحت أرجلهما بحرا زاخرا وما كان ألذ من ان ترى هذين الطفلين المخلصين مضمومين إلى بعضهما تحت مظلة واحدة تقيهما وهج الشمس أو غائلة المطر .

نفسين طاهرتين ، قلبين مخلصين ، شخصين سعيدين لا يفكران فى شىء ولا يحملان من هموم الحياة شيئا . لا يعرفان معنى الخبث والرياء أو التملق والنفاق ... وكانا كالشباو ترعرعا جنبا الى جنب كلما نما الحب الطاهر بين قلبيهما الشريفين حتى أصبح سن هيلين تربو على الخامسة عشرة حيث استقام عودها واعتدل قوامها وتهدل شعرها الاصفر اللامع على كتفيها كأنما قد ضيغ من خيوط الشمس وأضاءت عيناها السوداوان بنور سماوى غريب وهكذا برزت محاسنها إلى عالم الوجود تبرهن على قدرة الخالق المبدع الذى يبدع الحسن والجمال ...

وكان جاك يزيد عليها بثلاث سنين وقد كبر وأيفع وصار شابا جذابا وذهبت ملامحه مذهب الرجولة فى تكونها وكانت تنبعث من عينيه نار من القوة والنشاط تكاد تلهب

التهابا لولا تلك الاهداب الندية السوداء الحافة بهما وهكذا ظهرت عليه معالم الفتوة والقوة الحقة

الفصل الثانى

خفقة الحب

ما بال جاك حزينا مكتئبا لا يطرب للطبيعة كما كان أولا ويتغزل فى وصفها وماله بعد أن كان دائما فرحا مسرورا طروبا أصبح حزينا مهموما تلبس أديم وجهه غمرة قاتمة محبا للعزلة والانفراد . . . آه . إنه الحب . . .

أحب جاك هيلين وخفق قلبه لأول وهلة وشعر حقا بالحب الطاهر والهوى العذرى يملأن فراغ جوانحه حتى أصبح لا يمكنه أن يفارقها لحظة واحدة وهكذا تحولت بذرة الصداقة التى نبتت فى نفسيهما إلى دوحة الحب والغرام إذ كانت هيلين كذلك أيضا كان كل يكتم هواه عن الآخر خوفا أو رهبة . أخيرا لما استفحل شر هذا الحب الكمين وصار قلب جاك ينوء تحت حمل ذلك العذاب عذاب الكتمان

القاسى مع تباريح الهوى القاهر وآلام الغرام القاتل لم يجد بدا من مفاتحتها وقعلا تشجع وكاشفها بهواه حينما كانا منفردين معا فى الحديقة تحت الازهار والرياحين يشمان عبيرها اللذيذ .

لقد صادف هواه مكانا فى قلبها كان خلوا فأشغل فراغه وأصبح يضيق بذلك الحب المبرح والهيام المستعرة نيرانه فى قلبيهما المتيمين .

لقد أزال جاك عند مفاتحته إياها بغرامه حملا ثقيلا عن قلبها كانت تخافه وهو ان يكون جاك لا يحبها كما تحبه وتشعر نحوه . بعد ذلك أقسما يمين الاخلاص وعاهدا نفسيهما على الوفاء مادام فيهما عرق ينبض ودم حار يجرى ...

منذ تلك اللحظة التى باح كل منهما الى الآخر بسر هواه أصبحا عاشقين مندلهين يلتهب قلباهما بنيران العشق والغرام ويخفق قلب كل منهما ويحمر وجهه إذا ما سمع اسم الآخر أو رآه شأن الوالهين . وكانا كثيرا ما يجتمعان فى الليالى المقمرة وحدهما فى الحديقة بجانب غدير ماء وقد افترشا

الحشائش الزبرجدية الخضراء ير تشفان كؤوس الحب ويقتطفان زهور الغرام أو يصطحبان بعضهما فى هدوء الليل وسكونه إلى شاطئ البحر وقد بسط القمر أشعته على أمواجه وصبغها بلونه الفضى الجميل فيجلس بجانبها على رملة من رماله الميثاء وتسمعه من الاناشيد الساحرة الخلابة ما يستغرق شعوره ووجدانه ويملك عليه مداركه وعواطفه ويخيل اليه حين يسمعها أنها هابطة من الأعلى وأنها نغمات الحور الحسان فى فراديس الجنان ولا يزالان فى عناق وتقبيل حتى يأخذ الكرى بمعاقد أجفانهما فيفترقا إلى الفراش ...

الفصل الثالث

(الفراق)

أتم جاك سنى حياته الدراسية فى قريته المحبوبة وعزم على أن يبحث عن مستقبله وقد أصبح شابا مراهقا فعزم على الالتحاق بمدرسة الحقوق فى باريس . إذا سيفارق أهله وأقاربه وسيفارق الحبيبة . حدد موعد السفر وقد مضى ليلته الاخيرة

فى القرية مع حبيبته وأهله الذين صاروا يزودونه بنصائح قيمة وكان جاك وهيلين كلما التقت نظراتهما الكهربائية التى تفيض حزنا واشفاقا تنهمر الدموع من أعينهما مدرارا : نام والداه فقضيا بقية تلك الليلة تحرق صدريهما الآهات الصامتة وتلهب خديهما الدموع المسترسلة . أخيرا قال جاك وعيناه مخضلتان بالدموع : لاتبكى ياعزيزتى إصبرى فانى سوف أزوركم فى أوقات متفاوتة وانى أعدك وعدا صادقا خارجا من قلب مخلص ووجدان طاهر انى سأتزوجك بعد أن يصبح لى مرتب نعيش به فى باريس تلك المدينة الجميلة مدينة اللهو والملذات فقالت له : وحق رابطة الحب المقدسة التى بيننا انى سأحافظ على عهدك ما دمت على قيد الحياة وسأبقى عذراء طاهرة حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا وبعد ذلك افترقا إلى الفراش فبات جاك يعلل نفسه بآمال المستقبل الباهر سيرى باريس الجميلة وسيمتع نفسه فيها وسيطرق باب حياته العملية وسيكون له مرتب خاص وسيتزوج بهيلين الجميلة الرشيقة . أما هيلين فباتت حزينة لذلك الفراق فكانت مرة تعلل

نفسها بنوال تلك الوعود الخلابة والأمانى المعسولة ومرة تصغى لنداء هاتف فى نفسها يقول : إن الغد ينظر إلى آمالك وآمانيك نظرة الساخر ويبتسم ابتسامة المزدرى فسيكون سحابة قاتمة وريحا صرصرا تهدم قصور تخيلاتك وتنقض صروح أحلامك فكانت ترتعد وترتعش عند مثول هذا الهاجس فى نفسها ارتعاد المنقبضة الحزينة وماخرجت الغزالة من خدرها تمسح عن جبين الكون صبغة الظلام وقد أرسلت أشعتها الذهبية على أديم الغبراء حتى هب القوم من نومهم وارتدوا ملابسهم ثم بعد ذلك ذهبوا إلى المحط حيث الفراق...

كانت ساعة الوداع ساعة هائلة . قبل جاك والديه ثم أخذ حبيبته بين أحضانه وطبع على جبينها قبلة حارة خارجة من أعماق قلبه . قبلة الوداع القاسى وفى تلك اللحظة فقط تذكرا مقدار حبهما لبعضهما فى زمن الطفولة وفى أيام الصبا وفى عهد الشباب وتذكرا غرامهما الذى شغل كل فراغ قلبيهما حتى لم يعد معه متسع لأى شىء آخر غير الحب والأمل...

أذن مؤذن الرحيل فزرفت عيونهم الدموع ولم يكد

يطأ جاك القطار برجله حتى سمعت صرخة شديدة منهما كاد يغمى عليهما من هولها ثم انحدرت دموعهم جميعا كالوابل المدرار وصار جاك يلوح بمنديله الذى فلت من يده حين تحرك القطار وأخذته الريح حتي استقر على هيلين فأخذته هذا وقبلته ووضعته علي صدرها وهكذا مرت تلك الساعة الرهيبة التى فجعت فيها نفوسهم من حسرة هذا الفراق. رجع القوم والحزن ملء قلوبهم وصارت هيلين تندب حظها الذى صيرها وحيدة لا أخت لها ولا أخ يخفف من غلواء حزنها إذا حزنت وصارت تفكر كيف تستقبل وجه النهار إذا ما فتحت عينيها ولم وتقع على وجه حبيبها المشرق الجميل وكيف تجد لذة الطعام والشراب اذا ما جلست الى المائدة ولم تره بين الجالسين اليها وكيف تصغى الى أصوات الطبيعة المترنمة وصوته لا يجاجل بينها ولا تنبعث رنته بين رناتها وماذا تصنع اذا ظلت تفتش عنه فى مخدعه أو تحت ظلال الاشجار وعلى شواطىء الانهار وفى جميع الاماكن التى تعلم أنه يأوى اليها لتجلس اليه ساعة تتمتع فيها بلذة حديثه وحلاوة سمره فلا تراه فى واحد منها

ومن سيخرج معها الى النزهة ومن يظللها بمظلته إذا ماسقط المطر أو اشتد حر الهجير ومع من ستقضى أيام الربيع الزاهرة بين الورود الناضرة التى تفتحت أكمامها والزهور الجميلة يشمان أريجها الفياح تحت أشعة الشمس المشرقة ومن الذي ستفزع اليه اذا ما حزبها أمر أو لجت بها الوساوس والهموم ومع من ستقضى ليالى الشتاء الطويلة الباردة بجانب الموقد يتجاذبان أطراف الحديث أو يقرأ لها فى كتاب ؟...

لقد قضى الامر وستبقى وحيدة حزينة مهمومة

الفصل الرابع

فى باريس

سار القطار الذى يقل جاك الى باريس يخترق مفاوز « بانتان » القفراء فيتباطأ ويقف فترات قصيرة كأنه يتردد فى أن ينفذ إلى قلب باريس الهائلة وكان الليل شديد الحلك أقل النجم لا يشق سواده غير لهيب المعامل ولا يمزق أحشاء سكونه الشامل غير دوى صفيرها، ووصل القطار إلى المحط

فوقف مرتعدا تحت قبو ينبثق منه نور أبيض ولمح جاك قامة صديق له كان ينتظره فسرعان ما وثب الى الارض حتى دنا منه رافعا قبعته ثم اخترق الفناء حيث كانت تنتظرهما عربة وفى الصباح صار جاك يبحث عن بيت استأجره وابتدأ فى الذهاب الى المدرسة من ابتداء اليوم التالى ولما استقر به المقام حرر رسالتين إحداهما الى والديه والاخرى الى حبيبته يواسيهم ويذكرها بالعهد الذى بينهما ويصف لهم باريس وكل مايراه أو يقابله فيها . . .

لقد كان يهجس فى نفس هيلين هاجس لا تعرف مبدأه وخاطر يحدثها بوقوع مصاب أليم بها وكانت تتفاءل بالمستقبل تفاءلا شؤما وكانت كثيرا ما تناجى نفسها قائلة ان الغد شبح مظلم أمامى لا أتبين منه ذلك الامل السرى والسعادة السرمدية وكانت لا تعرف لماذا تخاف من وجود جاك بباريس ولقد كان حقا ما تحدثه . التف حول جاك الفتى بعض من اخوان السوء الذين يدعون الرقي ومازالوا به يزينون له طريق الشر والباطل حتي خلعوا عنه رداء الشرف الذى كان يرتديه

ويتمسك بأوصاله ويتشبث بتلابيبه وقد خلبت لبه ملاهى باريس حتى سقط فى تلك الهأة القذرة من الرذائل والمثالب وركب مطية جامحة غير ذلول عرجت به على غرة منه الى ميدان هائج وساحة طاحنة فأصبح يكرع الخمر بعد أن كان يعافها ويغشى المنتديات حيث يجلس على المائدة الخضراء تلك المائدة التى كانت ولم تزل نذير الخراب ورسول الدمار تلك هى مائدة القمار الجهنمية وكثيرا ما كان يذهب إلى المجتمعات الليلية والحانات حيث تصاب الفضيلة فى الصميم حيث تنتصر عليها الرذيلة وترى كل أنواع الدعارة والفجور تلك الامكنة منبع الفسق وأصل الفساد وهكذا انطمست عيناه عن سواء السبيل وصارت تتلقفه دياجير الضلالة وتتقاذفه أنواء الرذيلة وصار هذا التمدين الزائف والرقي الكاذب ديدنه غير حاسب للمستقبل أى حساب

مرت الايام سراعا وجاك منهمكا فى شهواته منغمسا فى ملذاته حتى مات أبوه فى القرية وتبعته أمه إلى جوار ربه بعد أيام قلائل

لقد كان جزع هيلين عظيما وحزنها مشجيا بعد فقدان ذلك الاب الكريم وتلك الأم الحنون ولم تشأ أن تفاجأ جاك بتلك الضربة القاسية لئلا تؤثر على صحته وتعطله عن عمله غير أنها بعد موتهما لم تجد من يعولها ويحميها فأرسلت فى طلب جاك كى يصفيا حساب الميراث وتعرف منه ماذا سيكون من أمر مستقبلها . أتى جاك ولقد قابلته بشوق ولهفة شأن المغرمين عند التلاق . كانت ساعة اللقاء ساعة جميلة يعجز القلم عن وصفها ولقد أخبرته بموت والديه ولشد دهشتها حينما رأت أنه لم يتأثر ولم يهتم لذلك كما كانت تظن وقد كان ذلك إذ أن حزنه عليهما لم يساو فرحه بموتهما لحصوله على ذلك الميراث الضخم الذى يساعده على سداد ديونه الباهظة ويمكنه من الانهماك فى حمأة الرذيلة وعشيان تلك الأمكنة قبور الشرف ومثوى الفضائل . قسم الارث فيما بينه وبين ابنة عمه كما أراد والده فى الوصية ولكن أمكنه أن يحتال عليها ويستولى على الميراث كله بتنازل منها مدعيا أنه سيعولها وسيتزوجها وقد رضيت هيلين بذلك وقالت له بلهجة رقيقة:

كلى لك ياحبيبتي ....

مكثا فى القرية أياما قلائل ثم بعد ذلك سافرا إلى باريس وعاشت معه فى بيته وقد كانت سعيدة منعمة وكانت تشعر بالسعادة الأزلية بقربه فى كنف الحب السرمدى وكان جاك بالرغم من سقوطه الأدبى وفوضاه الهمجية وتدهوره الوحشى يحبها حبا جما ...

الفصل الخامس

السقوط

إن جاك شاب ككل الشبان وكذلك هيلين فتاة ككل الفتيات لكل منهما عواطف واحساسات ولكل منهما شهوة يجب أن يفيها حقها ...

لقد كان جاك يشعر بحرارة زائدة ولذة جميلة حينما كان يضم هيلين الغضة إلى صدره الملتهب حتى تنبهت شهوته ذات ليلة وقد كانا ثملين . عانقها وانقتله وكانت تضحك ضحكات رنانة كأنها دقات ناقوس فضى جميل وكانت

تنثنى أعضاؤها المياسة تحت ثيابها الحريرية الشفافة وكانت تميل بتيه وعجب بقامتها الهيفاء البديعة التنسيق فكان ينظر اليها بشراهة وخسة ودناءة وقد كاد أن يغيبا عن الوجود بسبب المسكر وبسبب تلك العواطف الثائرة الملتهبة حتى استسلما لبعضهما ووقعا على الفراش متعانقين وقد صار يقبلها بحرارة زائدة قبلات سريعة ملتهبة نبهت فيه شهوته البهيمية وأثارتها أيضا فيها يساعدهما فى ذلك الفتوة والشباب ...

رأت هيلين جاك ملتصقا بها وقد أمسكها بذراعيه من حقويها ورأت بريق الشهوة يسطع من عينيه الناريتين فقالت له بخوف ووجل : ماذا تبغى وأى شىء تريد ؟ فقال لها بلهجة استهوتها : ألست زوجك ؟ فقالت : أحقا ذلك ؟ فقال لها : وشرفى سيسجل العقد باكرا فى الكنيسة فلا تخافى. آه انك جميلة ياهيلين ... وما هى إلا دقائق معدوده حتي ارتكبت الجريمة وسقطت هيلين أفظع سقطة. نعم سقطت فى هوة عميقة يتخبطها فيها ديجور ظلامها الدامس وصارت تتلمس ولات ساعة فائدة . .

جاك . ماذا فعلت أيها الغروى الساذج ذو النفس الطاهرة الابية ؟ أين شممك واين إباذك وتمنعك ؟

وماذا فعلت اينها النعسة المنكودة وكيف استسلمت له وانت كما نعهدك هيكل الشرف وعنوان الاباء ؟

لقد قضى الامر ونفذ السهم ولا مرد له وارتكبت الجريمة وسقطا السقطة التى ليس لهما بعدها قيام

سلام على الشرف سلام على العفة سلام على الطهارة سلام عليهن والف سلام

اين ذلك الحب الطاهر والهوى العذرى ؟ لقد استحالا إلى حب مدنس وغرام دنىء سافل كانت سببه نزعة الشباب الثائرة وشهوتهما البهيمية الدنسة وضعف ارادتهما الطائشة

جاك الشاب الهادىء ذو النفس الغريبة جاك الشريف لقد تحول الى شيطان رجيم لا يعرف ما هو الشرف وما هى النخوة لقد وصم حبيبته وابنة عمه التى استسلمت له والتى ظلها بحمايته وصمة عار عظيمة لا تمحى ابد الدهر

ويل لك يا جاك وويل لتلك النفس الشريرة انها إلى

الجحيم و بئس المصير لقد دنست فتاة طاهرة لم ترتكب إثما ولم تأت دنبا غير أنها استسلمت لذلك الذى سيتزوجها الذى يكاد يعبدها عبادة

لقد حركت تلك الفعلة الشنعاء ضمير هيلين الذى دار يوبخها بقسوة زائدة ولم يمكنها تحمل ذلك التقريع القاسى الذى دونه لسع الأفاعى أو عض الثعابين فقالت له . الآن يجب أن تتزوجنى كما وعدتنى بذلك وصارت تكلمه بلهجة شديدة وأسلوب حار وألفاظ قوية حماسا منها للفضيلة المنبوذة وغيرة منها على الانسانية المكلومة ودفاعا عن الشرف المسلوب ولكنه قال لها بخشونة زائدة : أنا لا يمكننى أن اتزوجك بأى حال من الاحوال ...

بلا شك لقد عجبت أيها القارىء من هذا الجواب الخشن ونحن نعرف ان جاك كان يحب هيلين حبا ملك عليه فؤاده وسلب لبه وشغل فراغ نفسه ولكن ستزول دهشتك عندما تعرف ان جاك الشاب القروى ذو النخوة والاباء ذلك الشاب الشهم الغيور قد وقع فى شر الحب بغى فاجر بواسطة

تلك الطغمة الفاسدة التى كان ملتفا حولها . لقد أحب فتاة ساقطة تبيع شرفها بثمن بخس دراهم معدودات أرادت ابتزاز أموالها وصحته وهجر تلك الفتاة الطاهرة بعد أن جني عليها جناية فظيعة أنكرتها الاديان وحرمتها القوانين . لقد كان يغيب كثيرا عن البيت وترك ابنة عمه فيه منفردة حزينة تندب حظها الذى أوقعها فى تلك الورطه الشديدة والهوة العميقة لا سبيل إلى الخلاص منها وكن يعاملها بفتور شديد ولكنها كانت تنسب كل ذلك الى حزنه وتألمه من توبيخ الضمير فقد حسبت أن له نفسا تتأثر وتضطرب وتندم . لقد كانت كثيراً ما تعض بنان الندم ولكن لات ساعة مندم . وفى ذات يوم قالت لخالك تلك الفاجرة . هل تفضل فتاة قروية جاهلة لا تعرف معنى الحياة ؟ فقال لها كلا أيتها الحبيبة هل ترين أني أعني بأمرها فقالت له ولكن لماذا تبقيها معك ؟ فقال لها ليس لها أحد غيرى يعولها فقالت له دعك منها ان باريس واسعة وطرق الرزق كثيرة ودعنى أحل محلها . فقال لها ان ذلك لا ينبغى كما انه ليس فى امكانى . ولكن قبلة واحدة وكلمة غنج

ودلال من فمها الدنس أنسته الغيرة والشهامة والشرف والنخوة ووعدها بطردها من البيت

ذهب جاك الى البيت وقابل هيلين بكل فتور وقال لها بكل برود : انى سأغيب عنك كثيرا فهل تودين البقاء هنا أو الرحيل ؟ ولكنها حملت كلامه على محمل حسن وذلك لسلامة نيتها وطهارة قلبها وشديد إيمانها وقالت له كيف أرحل وليس لى أحد سواك فسأبقى هنا ياعزيزى حتى تعود. ذكرته لهجتها هذه بالماضى السعيد فكاد ان يأخذها بين أحضانه ويقبلها ويركع عند قدميها قائلا لقد خنتك ياحبيبتى فاصفحى عنى ولكن سرعان ما تذكر تلك الفاجرة حتى رجعت اليه خشونته وسلم عليها سلاما فاترا وخرج من غير أن يلوى على شيء . ولقد تذكرت بعد خروجه أنه فى المدرسة ولا يمكنه التغيب عنها ولكن لو عرفت الحقيقة وعرفت أنه ترك المدرسة ليوفر مصروفاتها حتى يمكنه أن يقضي حاجات خليلته لزالت دهشتها فى الحال . . .

ذهب جاك واستأجر منزلا ثانيا ودعا خليلته اليه التي

فرحت كثيرا بتحقيق مساعيها الجهنمية ومنذ هذا الوقت سكنت معه وقد غرق فى بحر متلاطم الامواج من الشر والفساد هو وشركاؤه الذين كانوا فى ضلالهم يعمهون وفى طريق الفسق والفجور يسيرون وفى ظلال الاثم ينحدرون وعن سبل الحق يعرجون ...

كانت هيلين كلما أحست بالجنين فى أحشائها تثور نفسها حياء ويندى جبينها خجلا وأحست باليأس يملأ قلبها فيمسى نهار الرجاء ويبدله ظلاما قاتما ثم تستسلم للبكاء والنحيب ...

اليوم فقط عادت ذكرى الماضى المشين فقد وضعت هيلين طفلا ولم يكن بجانبها أحد غير خادمتها الخاصة . نعم فلقد كانت خادمتها أشد إخلاصا من ذلك الوغد السافل الذى تركها تائهة فى بيداء الهم القاتل والحزن المستمر . تلقت الخادمة الطفل على يديها فرحة به تلقت ابن الجريمة وعنوان الآثام إذ تجسمت تلك الفعلة الشنعاء فى جسم ذلك الطفل التعس البرىء . لقد بكت هيلين ماجادت لها عيناها بالدموع عندما رأته فقد عاودتها ذكرى الماضى ومثل أمامها شبح

الجريمة يهددها بالويل والثبور هيلين الفتاة الطاهرة لقد أتت بولد من السفاح لانها استسلمت لوغد دنيء لم يحافظ على شرفها وتاجها الذى يكللها بل فرط فيه بكل جرأة ووقاحة ولكن بالرغم من ذلك فقد كان ينبعث بصيص نور ضئيل من الامل وينفذ خيط دقيق واه من الرجاء إلى ظلمات أعماق قلبها القاتمة المظلمة وهو أنها كانت تعتقد أن جاك سيعود اليها ويتزوجها وسيبتسم الدهر لها بعد أن كشر لها عن نابه

قامت هيلين بعد الوضع بعدة أيام وأمكنها أن تمشى فأرادت أن تتنزه وفيما هى ماشية إذ رأت فى الطريق منظرا أرعد فرائصها واستوقف دقات قلبها وأمسك الدم عن جريانه فى عروقها رأت من على بعد جاك الذى تنتظر عودته بفروغ صبر على جمر الغضا ليتزوجها وتعيش معه سعيدة منعمة متأبطا ذراع فتاة يمشيان الهوينا فتبعتهما حتى انتهيا إلى منزل منفرد ودخلاه وقد كانت ترتعش طول الطريق وتضطرب ويخفق قلبها خفقانا شديدا حينما كانت تسمع رنات ضحكهما الذى كان بمثابة الحكم عليها بالاعدام أو حينما

كانت تتذكر أن فى ذلك المنظر ما هو هادم لآمالها وقاض على أمانيها ومفوض لسعادتها وقابر لشرفها

طرقت هيلين باب المنزل ففتح لها جاك صدفة وحينما رآها قال لها : ماذا تريدين فقالت له والدمع يترقرق من مآقيها من هى هذه الفتاة التي معك ياجاك هل هكذا نسيتنى ؟ ثم بكت بحرارة زائدة وانحدرت دموع على خدها تحدر حبات العقد وهي سلكه فانتثر ولكن لم يرق قلبه الذى قد من صخر لتلك الفتاة المسكينة ولا لدموعها الفياضة المنهلة بل قال لها بكل جفاء : إنها زوجتي . اخرجى من هنا حالا اخرجى لئلا تعلم بوجودك فتدعو الخدم يطردونك

لقد كانت الصدمة مؤلمة زلزلت أركان فؤادها وزعزعت عروش قصور آمالها الشاهقة فانقضت وأصبحت هشيما تذروه الرياح . ثم قالت له بصوت متقطع : آه يا خائن ألا تعلم ان لك طفلا .. ولكنه لم يدعها تكمل كلامها بل دفع الباب فى وجهها فوقعت مغمى عليها خارجه ولكن لم تلبث قليلا حتى كانت محمولة على ذراعى خادمتها المخلصة التي تبعتها ككلب

أمين تذود عنها وتدفع عن سيدتها الشر والاذى وهى فاقدة الرشد ضائعة الحجا ثم ذهبت بها الى البيت فى عربة . أفاقت هيلين من غشيها فوجدت نفسها فى بيتها فتذكرت ماحصل ولم تلبث أن صرخت قائلة : آه . لقد أهنت . لقد أصبت فى صميم فؤادى بكلام لن يلتئم . لقد هجرنى الخائن بعد أن ارتبط بى بطفل آه يا إلهى ما العمل ... ويلاه ما الحيلة ... رباه ... كيف الخلاص ؟ ...

وكأن الاقدار تود معاكستها إذ طرق الباب ففتحت خادمتها وغابت قليلا ثم رجعت تقول . بالباب صاحب المنزل فقالت دعيه يدخل فدخل وهو ينظر هنا وهناك ثم رفع قبعته محييا وجلس ، ثم قال لها لقد آن أوان الدفع ولم يدفع لى الرجل ككل مرة وقال خذ الأجرة ممن يسكن عندك فهل أنت التى ستدفعين ؟ ..

صدمة أخرى هدمت كيانها . لقد اغتصبها الشقى مالها الذى تنازلت له عنه بتأثير وعوده الكاذبة لها وهى ماسمعت إلا مذاعا وما رأت إلا سرابا وها قد طردها من البيت

يالافظاعة ويالشياطين ان ذلك المجرم يعمل على النكاية بها وهى لم تأت معه أمرا إدًّا سوى استسلامها له ظنا منها أنه سيحميها ويتزوجها ، فأخبرت المالك انها سترحل فتركها وخرج

صارت هيلين تفكر تفكيرا عميقا وتتبع تلك المأساة الهائلة من ابتدائها وتتذكر الفصول المحزنة والحوادث المؤلمة التى حدثت لها والمصائب المدلهمة والنكبات الداهمة التى دهمتها ونزلت بها ثم رفعت رأسها فاذا بدمعة قراقة تتردد فى عينيها تحاول امساكها وما لبثت أن انفجرت باكية وصارت تنشج نشيج الاطفال وتقول كلاما يفتت الصخر الأصم وصارت تستذرف عبراتها التى حفرت لها مجرى على خدودها الناعمة وكانت خادمتها تبكى لبكائها بكاءا مرا وهكذا انقلب ذلك البيت من بيت الحب والغرام إلى مسرح تمثل عليه مأساة هائلة محزنة . أخيرا قالت خادمتها بعد تفكير عميق : خففى عنك ياسيدتى وكفى بكاءا فسنرحل معا إلى بيتنا ولو أنه حقير فنظرت اليها نظرة تجعل من الجماد ناطقا

أذابت مهجتها وقالت لها شكرا لك أيتها الأخت ما أشد اخلاصك وأمانتك ومروءتك ان لك عواطف سامية لا توجد عند العظماء ولك نخوة ومروءة يندر وجودها بين أعظم الاشراف

وفى اليوم التالى ارتحلا ومعهما الطفل الى قرية حيث يوجد البيت ولقد قابلهم أهل الخادمة بكل احترام وترحيب ولقد وجدت من هؤلاء الفقراء التعساء الذين لا يملكون قوت يومهم ما أنساها مصيبتها التى انقضت عليها وحلت بها ولا غرو إذا رأت منهم نحوها شفقة ورحمة وعطفا وحنوا فان أقرب ما تكون النفوس إلى النفوس إذا جمعتها فى صعيد واحد هموم الحياة وآلامها

عاشت هيلين فى كنفهم عيشة بسيطة قانعة بالعلالة التى تصيبها بعد أن ملها حبيبها واجتواها وسئمها وبرم بها وبعد أن نفض يده منها نفض المودع يده من تراب الميت جزاءا لها على إخلاصها ووفائها وقد أبى الدهر إلا أن تصبح تلك الفتاة بعد أن كانت تعول تلك الأسرة الفقيرة التعسة بما تعطيه لأبنتهم بأن تكون فردا منها تعيش معهم عيشه القانتين

المتبتلين بعد أن عضهم الجوع بنابه بما يأتى لهم من غسل الملابس والحقير من هذه الطرق

لقد عصفت بها طوارق الحدثان وخانها الدهر وقلب لها ظهر المجن بعد ان كانت تحسبه عنها غافلا ولكنه لم يكتف بأن نكل بها هذا التنكيل وقضى لها على بارقة كل أمل إذ أنها ابتليت بداء قتال قلما ينجو منه أحد واشتدت عليها وطأته وافقرهم لم يمكنهم احضار طبيب لمعالجتها وصارت تعاني مرارة البؤس وتتجرع كؤوس الشقاء لقد ذاقت من العذاب أصنافا وألوانا وتجرعت مر الشراب وصارت فقيرة معدمة مريضة يخيم عليها ظل اليأس القاتل والتعاسة الدائمة ...

لقد كانت تتذكر ولدها وتبكى إذ أنه سيبقى وحيدا بعدها ولا تعلم ما سيؤول اليه أمره سوى أنه كيان وسيكون تعسا شقيا من صرخة الوضع الى أنة النزع لقد اشتد عليها الداء وعز الدواء واحتلت فراشها جيوش الشقوة وجنود العذاب كأنهم زبانية الجحيم تتجرع على أيديهم مرارة البؤس وحنظل الشقاء

كانت فى بعض الاحيان تتذكر ماضيها السعيد فى القرية حينما كانت تخرج مع حبيبها جاك يتنزهان معا فى الحقول تحت ظلال الاشجار الباسقة المورقة وفى الليالى المقمرة يتناجيان طويلا تحت ظل شجرة ينعكس عليها ضوء البدر الساطع فيكسب موقفهما روعة وجلالا . أو حين كان يمسك يدها بين يديه ويضغط عليهما بشدة فتسرى كهرباء الحب فى جسمها من قمة رأسها إلى اخمص قدميها فتنتفض وتهرع نحوه وترتمى بين يديه فيقبلها قبلة تكون بردا وسلاما ، وهكذا كانت تطير نفسها فى ملكوت الخيال الكاذب وبيداء السعادة الوهمية ولكن لاتلبث أن تصادمها الحالة الواضحة ثم الحقيقة المرة ثم النتيجة المؤلمة . حينما كانت تتذكر هجرها وأنها تعيش الآن فى غرفة حقيرة تحت سقف واه أخرق لايدفع عنها رذاذ المطر وحيث ستموت بعد أن تخلف ولدها البائس المسكين غنيمة باردة للاقدار ولقمة سائغة للدهر الذى لايرحم ولا يشفق فكانت لاتتألم لنفسها بقدر تألمها لطفلها التعس المنكود

لقد كانت ابتسامة واحدة من فم ولدها الجميل أو نداءه لها الخارج من أعماق قلبه الطاهر البريء عزاءها الوحيد وبلسم جراحها ومسكن آلامها . لقد كانت حينما تسمع صراخ ولدها أو ترى ابتسامته العذبة منطبعة على فمه الجميل وهو يبغم فى مهده أو يناغيها بلسان الطفولة الجميل يكاد يتفتت قلبها ويتصدع صدرها وتزهق روحها وتكاد تتمزق احشاؤها حزنا عليه واشفاقا من عاديات الدهر والزمان بعد موتها فتضمه إلى صدرها الذى تتحرك به المشاعر وتتأجج الوجدانيات فتهمل الدموع الحارة المسترسلة من مآقيها . كم كانت تصعد أحر الأنات والزفرات ما يكاد يتصدع لها صدرها ويلتهب فؤادها حين تسمع بكاء ولدها وتألمه من الجوع والسغب حينما لا يجد شيئا يتأدم به أو لقمة يتبلغ بها ثم تذرف الدمع الهتون ما هى إلا أيام قليلة لاقت فيها من الفظائع والاهوال ما أبيض لها شعرها وشابت نواحيها حتى دنت منيتها وأصبحت على حافة القبر فكنت ترى هيلين الجميلة التى كانت بالأمس تنكسر أمام عينيها نظرات أقوى الرجال فتاة ناحلة الجسم

بارزة العظام دامعة العينين وكنت ترى منها والهة مدلهة وذاهلة مشدوهة ومريضة مدنفة

الفصل السادس

« الموت »

مضت هدأة من الليل الذى كانت منتشرة ذوائبه فكنت ترى فى تلك الغرفة الحقيرة فراشا بسيطا من القش ينام عليه شخصان وكان يوجد مصباح ضئيل تجاهد ذبالته المرتعشة فى تمزيق شمل ذلك الظلام السائد وكنت لا تسمع غير أنين ينبعث من أحد النائمين على الفراش كأنين الدفين تحت أنقاض البيت الساقط

ذلكما هما الأم الفاضلة والطفل الطاهر البريء فكنت يرى فتاة رائعة قد تخونها السقم وأضواها الهم فوهن عظمها وانكفأ لونها وغارت عيناها وذوت نضرتها وأصبحت مثل الخلال رقة وذبولا وكانت تحيط بوجهها المشرق المتلألأ هالة

وضاءة من الشرف والنبل تغشاها سحابة كثيفة من الهم والكآبة ويتراءى فى عينيها الذابلتين المتضعضعتين أثر الذل والانكسار الذى يراه الانسان دائما فى عيون الفتيات المنكسرات فى ميدان الحياة

نعم تلك هى الحالة الظاهرة فى تلك الليلة المشئومة وكان يتأجج فى صدرها سعير لا يلبث أن يستحيل الى زفير فشهيق فبكاء وكانت تعالج غصة تتلجج فى صدرها وتتنفس تنفسات تكاد تنقطع لها احيازعيما وكنت ترى الطفل كأنه لا يعلم مبلغ الحالة التى وصلت اليها أمه الحنون الشفوق التى ستخلفه من بعدها وهو لم يبلغ أشده فى وسط أسرة مقلة معدمة يقضى أفرادها الليالى بدون أن يتذوقوا طعم الاكل لكثرتهم ولقلته فكانت منطبعة على فمه ابتسامة ملائكية تصدر عن قلبه المخلص وسريرته الطاهرة وكانت تحيط بوجهه الجميل هالة ساطعة من البشر فكانت تنظر اليه أمه طويلا وتضمه الى صدرها بقوة وكانت تغمر وجهه بقبلاتها ودموعها الحارة وتقول : ولدى لقد كان يتدفق ماء حياتى من بين جوانبك ويسطع بريق

سعادتي من بين عينيك الزرقاوين الطاهرتين ونظراتك الساذجة الجميلة وهاأنا سأتركك وحدك ليس من أحد يحنو عليك فمع من ستتناغى وأى سعيد ذا الذى ستناديه بيا امى نعم فسأتركك إلى باطن حفرة ظلماء أثوى وجدثا ضيقا قاتما بعد أن كنت آخذك بين أحضانى وأنام هادئة مستريحة فتذكر والدتك دائما وصلى لأجلها كثيراً ولا تسخط علىّ إذا ما علمت بما جنته عليك بل ارحمها وادافع عنها واعلم يقينا أنها مظلومة مغبونة ..وهكذا كن منظرا مهيجا وحالة مؤلمة تفض أصلاد الصفا وتذيب لفائف القلوب ...

أخذ الفجر يمسح عن وجهه صبغة الظلام حينما بلغت حشرجة الموت صدر هيلين وبانت روحها التراق وأحست انها على ابواب الابدية وعما قليل ستطرقها فصرخت صرخة الطائر المذبوح استيقظ على اثرها القوم يتساءلون ما الخبر فجمعتهم وقالت لهم : بين يديكم ياقوم استودع ولدى وحياتى فليس له سواكم وبين يديك يا رب استودع روحى .

وداعا أيتها الدنيا الدنية . وداعا أيها المجتمع المادى الدنىء

وداعا ايتها الارض المملوءة بالاحزان الخبيثة . شربت كأس السعادة حتى الثمالة فسكرت من ذاك الشراب الدهامة وها انا احتضر على فراش الموت فالى اللقاء . تشرح كبدى وتفرى من داء الكمد ونزح ينبوع مقلتى فلم أعد قادرة على البكاء وحام فى حجرتى طيف الموت فوداعا وداعا لا لقاء بعده ودعونى ودعونى انى اليوم أموت وما هى إلا ثوان معدودة حتى شهقت شهقة أصبحت على اثرها جثة هامدة ليس بها حراك . . . وهكذا كانت خاتمتها فالى رحمة الله ماتت هيلين الطاهرة المسكينة وخرجت من دنياها خروج السبيكة من البودقة طهارة وصفاء فحزن عليها الكون حتى الطبيعة التي ثارت ثائرتها واخذت الريح تئن أنين الواله المتسلبين واخذ الموج يعج عجيج اجراس الموت و تسربلت السماء بلباس الحداد وصارت تذرف الدمع مدرارا وتنكر وجه القمر وخرجت شياطين الرعد الرواجس من بطون الآفاق تصيح خفقا وابعادا وتقهقه وتلطم ثم ترفع زماجرها ارغاء وازبادا وجعلت السحب الدهماء تسح وترسل دياجيها

جساما واستحال لون الجو إلى سواد قاتم حزنا على ضحية الخيانة والوحشية ولقد كنت ترى كل من سمع بخبرها بادية على وجهه مظاهر الحزن العميق ولبس عليها الكل الحداد بعد ان واروها التراب وسكنت اللحد حيث فيه تجد الراحة الابدية فلا يعكر صفوها معكر

سلام عليك ايتها الفتاة الطاهرة العفيفة التي دنسها ذلك المجرم الشرير بحجة الزواج لقد طواك القبر كما تطوى الحوادث في سجل الايام وعفا كل شيء ودرس كل اثر فسلام عليك بل الف سلام.

سمع جاك بخبر موتها وكان ثملا بجانب خليلته فلم يزد على قوله : مسكينة هي هذه الفتاة . ولقد انكب على خوض غمار حياة التهتك والدعارة الباريسية وهدم الفسق قواه ودالت دولة صحته وبهائه وقد زاد في غشيانه مواخير الفساد ومراتع الدعارة ومذابح العفاف ومجازر الاعراض وأصبح خالصا من كل قيد وشرط تحركه اغراضه وغاياته كالحيوان الشارد ليس له ناه من سنن أو زاجر من أدب أو رادع من

قانون حاكم لذته وهواه وغرضه الحصول على مأربه ومناه وقد اكثر من لعب القمار حتي نفذت جميع نقوده وأصبح فقيرا معدما لا يملك شروى نقير بعد أن أثقلت كاهله الديون الباهظة فلما رأت تلك الفاجره حالته هذه تركته وهجرته بعد أن أوردته هذا المورد الوبيل إلى رجل غنى أعزب أحبها واتخذها له خليلة . لقد هاج كامن غيظ چاك لذلك إذ فقد الطرفين وصار يفلى كالمرجل من شدة الحنق والغيظ وأرسل الى ذلك الاعزب يدعوه الى مبارزة . انتهت المبارزة بجرح چاك جرحا عميقا أثر على صحته تأثيرا سيئا وقد انتابه داء فتاك هو داء « السيلان » من كثرة تقلبه بين أحضان الساقطات الفواجر وبالرغم من ذلك فلم يترك فسقه وفجوره بل انهمك فيهما بكليته حتى أصبح فى حالة يرثى لها . اشتدت وطأة الداء وظهر أثر الجرح البليغ فهدت قواه يساعد فى ذلك تعاطيه المخدرات . لقد نحل جسمه وبدت عظامه وضعفت بنيته وتقاربت خطاه فلقد سعى الى حتفه بظلفه وأصبح على حافة القبر وشفير اللحد

الفصل السابع

الرؤيا المزعجة

فى ذات ليلة بينما جاك نائم إذ رأى نفسه وسط بيداء شاسعة حيث كان فى وسطها قصر منيع أبيض وكان الظلام مسيطراً بجيوشه الجرارة على الكون والحندس منتشر فى الارجاء فكان السواد حالكا كثيفاً ورأى ذلك القصر الذى يتاطح السحاب له حصون وخنادق وحراس عدة وله حديقة فيحاء تجمع ما لا عين رأت ولا اذن سمعت كأنها الفردوس الموعود بها فى يوم الساعة ثم رأى ان باب ذلك القصر قد فتح وخرج منه شبح ابيض طويل وقد خر هؤلاء الحرس سجودا له ثم رآه يقترب منه . . . آه . . . ويلاه . . . انه هيلين . . . هيلين الجميلة . . . قد رجعت اليه . . . لقد اقتربت منه وكانت تحيط بها هالة عظيمة من نور غريب ابيض اضاءت كل هذه الارجاء المظلمة فرأى حول نفسه هالة شديدة سوداء

قائمة ثم رأى هيلين امامه وقد رفعت يدها ببطء وقالت له بصوت رهيب اصطكت له ركبتاه وارتعدت فرائصه : ايها الوغد الزنيم ما فعلت بعهودك المقدسة وايمانك المحرجة التى اقسمتها لدى هيلين هيلين المسكينة التى دنستها وطردتها شر طردة على مذبح أغراضك السافلة وفى سبيل شهواتك الدنيئة مع بغى فاجر . لقد وعدتها بالزواج فرضخت لك واستسلمت لكنك طردتها بعد ان اغتصبتها ما لها وشرفها وبعد ان قضيت منها لبانتك . لم يمكنك كبح جماح نفسك والمحافظة على شرفها وعرضها بل ملكتك شهوتك وغلبتك بهيميتك فأرضيتهما ثم طردتها بعد ان قضيت وطرك منها وسئمتها وبرمت بها ولم تشفق على شبابها الزاهر ولا على طفلها المسكين الذى يلاقي الآن الامرين . لقد جنيت عليها جناية لا تغتفر وكنت السبب فى موتها حزينة مقهورة وقد تركتها فريسة البؤس والفاقة تحت رحمة الداء والاقدار . لتلعنك السماوات أينما حللت وانى كنت ولتنزل عليك الآلهة صواعقها وجام غضبها وتنتقم منك شر انتقام . الى النار

ايها الغادر وبئس القرار الى الجحيم ايها الفاسد الشرير وبئس المصير .

ثم أخذ الشبح يتراجع شيئا فشيئا فصرخ چاك وقال : هيلين ارحميني اشفق على . . . آه . . . هيلين . واراد امساكها ولكن غاب الشبح عن الوجود واظلم المكان ثانيا كما كان فملك الرعب قلبه وطار الفزع بعقله ثم اغمى عليه من الخوف والوحشة والرهبة .

استيقظ في الصباح ولكن لم تزل ذكرى تلك الرؤيا المزعجة امامه . لقد مثل شبح الجريمة التي ارتكبها امامه واصبح نصب عينيه لا يفارقه لحظة واحدة وقد آلمه حزازة الجريمة وفظاعتها

لقد عرف ان له ولدا قد ترك فريسة في يد الدهر الذى لا يرحم ولا يشفق فمن اين له به ليتمتع طرفه بالنظرة الاخيرة منه

لقد نام تلك الليلة على فراش دونه خرط القتاد . بات يشكو متبرما ويتأفف متذمرا ويتحسر متألما كأنه على السعير مقيم وفي الرمضاء دفين ولم يتذوق من النوم الا الماما وقد تجمعت

كل تلك الذكريات عليه مع اشتداد ألم الجرح وزيادة خطور الداء فعزم على الانتحار انه لم يكتف بتلك الجرائم التي ارتكبها فأراد ان يختمها بجريمة القتل قتل نفسه وقالانتحار

الفصل الثامن

الانتحار

في صباح يوم صاف كنت ترى شابا بيده طاقة زهور سائرا في طريق المدفن يمشي بخطوات بطيئة واوصال مرتعدة ودموعه تنحدر على خديه انحدار المزنة الهاطلة وكان يقتلع نفسه من الارض اقتلاعا وبعد حين كنت تراه منحنيا على قبر هناك يرويه بدموعه ثم انشأ يقول : حبيبتي . كلافلست حبيبتي انك ارفع من ان تدنسي بحب وغد سافل مثلي لم يرع زمامك ولم يلب نداء الانسانية المظلومة ولم يجب داعي الشرف والامانة لقد نكثت بعهودك وضربت بها عرض الحائط ودنستك بعد ان كنت مثال الطهر والعفاف وانموذج

الفة والوفاء لقد كنت ملاكا طاهرا هبط الى الارض من السماء ولكني بالرغم من ذلك طردتك بعد ان وصمتك . طردتك انت وطفلي ولدى العزيز فلذة كبدى وثمرة حياتى ولدى المنكود الحظ العاثر الطالع الذى لم يرتكب اثما ولم يأت ذنبا وهو بلا شك الآن يعاني صنوف العذاب فرحمة به يا الهى لقد كنت السبب انا الخادع المرائى فى كل ذلك وما احلى تلك الايام التى مرت ولم يبق لى منها غير عبق ذكراها ايام الطفولة السعيدة حينما كانت تلك الرابطة المقدسة بيننا . رابطة المحبة الطاهرة وثيقة العرى متينة الرباط وكانت تظللنا ملائكة الحب الطاهر وترفرف علينا أنوية السعادة والهناء

ولقد كان إخلاصك شديدا وقلبك طاهرا وطويتك بيضاء ناصعة واستحالت نفسى الطاهرة الى نفس شريرة دنسة لم تستمع الى نداء الشرف أو الضمير ونسيت قسم المحبة وخنت عهد الاخلاص والوفاء .

سيدتي لست ابغى الآن سوى أمنية واحدة اسأل روحك ان تحققها لى شىء بسيط وهو الغفران نعم اريد أن

تغفرى لى ذنوبى وحبذا لو كنت الآن على قيد الحياة لكنت ركعت عند قدميك اسألك الرحمة والغفران وأقول لك ها أنا ذا قد ثابت نفسى واصبحت خادما لك أطوع من بنانك لا اضن بآخر نقطة من دمي فى سبيل ارضائك وحمايتك وكنت اقول لك ها هى نفسى وروحى وها هو جسمى وكلى امامك افعلى بي ما تشائين لتقتليني ولتعذبيني لتمزقيني إربا إربا ولتقذفيني فى النيران المتأججه ولكن لتغفرى لي زلتى وتسألى لى عند ربك الصفح والغفران وها انا ذا الآن سألحقك حيث انت وستجتمع روحى الخبيثة بروحك الطيبة الطاهرة لتسألها الشفقة والنسيان ها انا ذا اجود بروحى على قبرك الذى يضم رفاتك الطاهر غير آسف على شيء الا مابر مني نحوك من ذنوب وآثام . ايتها القديسة الطاهرة انى كنت كثيرا ما اسمع نصائحك القيمة الشريفة ولا اجعل لها عندى أى اعتبارى كم كانت مفيدة نافعة حبذا لو كنت اتبعتها إذا لكنت الآن اسعد كائن فى الوجود .

ثم صار يبكى حتى انشقت مرارته وتقرحت جفونه

ثم قال : سلام عليك ايتها الدنيا المملوءة بالادران والارجاس سلام عليك ايها العالم المملوء بالمفاسد والشرور والاقذار والاوضار سلام عليك ياطفلي العزيز يا من بقي لي في الحياة سلام عليك بل الف سلام

وهنا سمعت طقة مسدس بددت شمل ذلك السكون الرهيب، تلتها صرخة مزعجة عكرت صفو تلك السكينة السائدة ثم تلاها سقوط جسم ثم . . . سكون عميق ؟

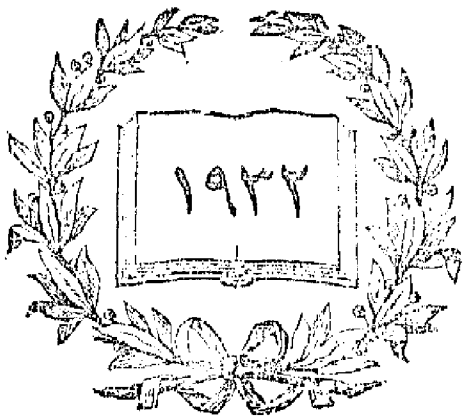
١٩٣٢